



مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of
Arts- alkhomes

28

العدد

الثامن

والعشرون

مارس 2024م

تصنيف الرقم الدولي (2710-3781/ISSI)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

المحن والمصائب في الإسلام

إعداد: د. عبد الحميد إبراهيم سلطان*

الملخص:

يتناول هذا البحث المحن والمصائب في الإسلام، ولقد اشتمل القرآن الكريم والسنة المطهرة على الكثير من الدلائل التي على الصبر وقت وقوعها، وجعلت المحن والمصائب امتحاناً للإنسان، ولولا مَحَن الدنيا ومصائبها لأصيب العبد من أدواء الكِبَر والعجب وقسوة القلب، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقد في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة عبوديته، ولولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا، وبغوا، وعتوا. ويعتمد البحث على المنهج على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستدلالي لفهم حقائق المصائب والمحن، ومن خلالها يقدم البحث رؤى مفيدة حول فهم الفرق بين المحن والمصائب وتجاوزها بطريقة سهلة. ويهدف البحث إلى بيان نهاية المحن والمصائب وصبر الإنسان عليها من خلال ما ورد في القرآن الكريم السنة المطهرة، وقد ظهرت عدة نتائج حول هذه البحث من أهمها أن المصائب والمحن التي تصيب العبد لا تخرج عن أربعة أقسام: نفسه، ماله، عرضه، أهله. لا تقتصر على جيل دون جيل أو أمة دون أخرى، بل تشمل المؤمنين والكافرين. كما أن الثبات وقت المحن يكشف حقيقة الإيمان في قلب المسلم.

الكلمات المفتاحية: المصائب، المحن، الإسلام، القرآن، السنة.

* عضو هيئة التدريس. كلية الآداب جامعة المرقب

Abstract

This research deals with adversity and calamities in Islam. As the Holy Qur'an and the Sunnah contain many indications urging patience when calamities occur. Adversity and calamities are a test for man, and they are what prevent man from falling into arrogance, self-conceit, and hardness of heart.

These adversities and calamities are nothing but a mercy from **Allah** Subh'anaHu Wa Ta-A'la that He sends to some of His servants so that they may be protected from the illnesses of the soul, and to preserve the health of their servitude through real patience.

People are not afflicted with these types of adversities and calamities except to avoid tyranny, unjust oppression, and aggression on earth.

The research relies on the descriptive analytical approach and the inferential approach to understand the reality of calamities and adversities and how to overcome them easily. The research aims to explain human patience in the face of adversity and calamities and to explain their end through the verses mentioned in this regard in the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet Muhammad ﷺ .

The most important results that were concluded from this research is that the adversities and calamities that befall a person are summarized in four parts: one's soul, property, honor, and members of family. These sections are not limited to one generation over another or one nation over another nation, but they include believers and infidels. Likewise, firmness and patience in times of adversity reveals the truth of faith in the hearts of Muslims.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد.

فسبحان الله الذي خلق الإنسان، وفضّله على جميع مخلوقاته، وجعل المحن والمصائب امتحاناً للإنسان، لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾⁽¹⁾، فإن الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم بأنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله فله شر الجزاء.

فهو الذي له العزة كلها، التي قهر بها جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات، وكذلك يغفر ذنوب العباد الذين تابوا، ولو بلغت عنان السماء، ويستتر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا.

فالذنوب من أسباب المصائب، ولكن ليس في نصوص الشرع ما يدل على أن المصائب لا تكون إلا بالذنوب، فقد يُصاب بعض الناس لحكم أخرى، فالمصيبة أعم من العقوبة فقد تكون بذنب وقد تكون بلا ذنب وذلك لسبب مقتض مصلحته أعظم من مراعاة المصلحة العاجلة والخاصة للعبد ويدلك على قوله تعالى عن الموت ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ سورة المائدة الآية 106 فسماه مصيبة وهو يصيب كل إنسان، من أشرف الأنبياء إلى أكفر الخلق، فكل عقوبة بذنب وليست

(1) سورة الملك، الآية: 2.

كل مصيبة بذنب، وكذا الابتلاء والبلاء، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ سورة الأنبياء الآية 35 وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ سورة البقرة الآية 124، وهو كما ترى مما لا تعلق له بالذنب وإنما المصائب أحياناً تكون لمجرد الزيادة في اليقين والرفعة والاختبار، قال تعالى ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ سورة يوسف الآية 76.

ولولا مَحَنَ الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكِبَرِ والعجب وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن ينتقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة عُبوديته، ولولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا، وبغوا، وعتوا. والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه.

مشكلة البحث:

يمكن إثارة مشكلة البحث على هيئة التساؤلات الآتية:

- 1- ما هي المحن والمصائب؟ وهل هناك فرق بين المحن والمصائب؟
- 2- متى تنتهي المحن والمصائب؟
- 1- بيان كيفية تصرف الإنسان عند الشدائد والمصائب.

أهداف البحث:

- بناء على إشكالية البحث وتساؤلاته فإن أهداف البحث تكمن في الآتية:
- 1- معرفة المحن والمصائب، والفرق بينهما.

2- بيان نهاية المحن والمصائب.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في دراسة المحن والمصائب في الإسلام، وخاصةً فيما يتعلق بكثرة ظهورها في وقتنا الحاضر، ومدى اتجاه المسلمين إليها.

أسباب اختيار البحث الموضوع:

ترجع أسباب اختيار الموضوع إلى نقاط من أهمها:

1_ تبين أسباب ظهور المحن والمصائب.

2_ بيان كيفية المعاشة مع هذه المحن والمصائب التي انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها.

3_ معرفة موقف العلماء منها.

منهج البحث:

سيعتمد الباحث في إعداد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستدلالي، وغيرهما مما يستدعي البحث لذلك.

حدود البحث:

البحث يدور حول المحن والمصائب وكل ما تتسبب ظهورها، وأقوال العلماء فيها.

هيكلية البحث:

تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

التعريف بمصطلحات البحث:

أولاً - معنى المحن لغة واصطلاحاً.

ثانياً - معنى المصائب لغة واصطلاحاً.

ثالثًا - معنى الإسلام لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول - أنواع المحن والمصائب

المطلب الأول - المحن والمصائب للشدائد وأنواعها.

المطلب الثاني - المحن والمصائب للفتن وأنواعها.

المطلب الثالث - المحن والمصائب للالتزامات وأنواعها.

المبحث الثاني - الحكمة من المحن والمصائب وأسبابها ونهايتها وأقوال العلماء فيها.

المطلب الأول - الحكمة من المحن والمصائب.

المطلب الثاني - أسباب المحن والمصائب وأقوال العلماء فيها.

المطلب الثالث - نهاية المحن والمصائب.

أما الخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

مبحث تمهيدي: تعريف بمصطلحات البحثأولاً_ معنى المحن لغة واصطلاحاً.

المحن لغة: مُمْتَحَن، ومُتَمَحِّن، امتحن امتحان، مفردها محنة بمعنى: البلاء والشدة، يقال امتحن الإنسان ووقع في محنة إذا أصابه البلاء.⁽¹⁾

اصطلاحاً: هي المشاكل والابتلاءات التي يشعر الإنسان بالفشل فيها، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾⁽²⁾ أي: ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا.

ثانياً_ معنى المصائب لغة واصطلاحاً.

المصائب لغة: الشدّ والمكروه، مفردها مصيبة، وهي صيغة المؤنث لفاعل أصاب، يقال: أصابت فلان بالمصيبة، وهو مصاب ببصره وعقله، أي: بالمكروه والشدة.³

اصطلاحاً: هو الأمر المكروه ينزل بالإنسان، لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ

(1) ينظر: لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ ، 144/13، مادة: محن).

المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة، 856/3، مادة: محن).

(2) سورة البلد، من الآية: 4.

(3) ينظر: أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 582، مادة: صوب).

عَلَى اللَّهِ يَسِيرُ⁽¹⁾. قال الجرجاني: "المصيبة ما لا يلائم الطبع كالموت ونحوه".⁽²⁾ والمناوي: "المصيبة اسم لكل ما يسوء الإنسان".⁽³⁾.

فبناء على هذه التعريفات يبدو (تبيين) لي أن المصائب أعم وأشمل من المحن، والله أعلم.

ثالثاً_ معنى الإسلام لغة واصطلاحاً

الإسلام لغة: الانقياد

اصطلاحاً: هو الاستسلام لله وحده بتوحيده وعبادته والامتثال إلى أوامره واجتتاب نواهيه.

المبحث الأول_ أنواع المحن والمصائب

المطلب الأول_ المحن والمصائب والشدائد وأنواعها:

الشدائد هي الأمور العظيمة التي تصيب الإنسان لوحده أو تنزل بالجماعة من الناس، كالأمراض، والحروب، والزلازل، والفيضانات، والحرائق ونحوه، وهذه المحن والمصائب ثلاثة أنواع، وهي:

النوع الأول: المحن والمصائب العامة التي تصيب الأرض والناس، ومثاله في القرآن الكريم كثير، منها:

(1) سورة الحديد، من الآية: 22.

(2) التعريفات للجرجاني، 1/278.

(3) التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1/660.

قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾⁽¹⁾.

والخسف لقوم لوط عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةٍ عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِّنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾⁽²⁾.

النوع الثاني: المحن والمصائب عامة تصيب الناس دون الأرض، وأفضل الأمثلة لهذا النوع هو ما حل بقوم شعيب - عليه السلام - عندما أعرضوا وصدوا عن اتباع الحق، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾⁽³⁾.

النوع الثالث: المحن والمصائب الخاصة تصيب أفراداً دون آخرين.

والسبب يختلف من شخص إلى آخر، فمن كان كافراً معانداً تكون المصيبة من باب العقوبة، مثل ما حدث بقارون، قال الله تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾⁽⁴⁾.

وكذلك ما حدث بالسامري حينما ضلّ بني إسرائيل، وجعل لهم العجل له خوار (صوت) ليعبدوه من دون الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي

(1) سورة العنكبوت، من الآية: 14).

(2) سورة هود، من : الآية: 82، 83.

(3) سورة هود، من الآية: 94، 95.

(4) سورة القصص من الآية: 81.

الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ۖ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١﴾.

وقد تكون المصيبة ليست من باب العقوبة وإنما تكون ابتلاء للصبر وقد تكون كاشفة أو رادعة تصيب الأفراد، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (2).

ويقول ابن القيم في قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (3)، فَالْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ هَاهُنَا: النِّعْمَةُ وَالْمُصِيبَةُ، فَالنِّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ مَنْ بَهَا عَلَيْكَ، وَالْمُصِيبَةُ إِنَّمَا نَشَأَتْ مِنْ قَبْلِ نَفْسِكَ وَعَمَلِكَ، فَالْأَوَّلُ فَضْلُهُ، وَالثَّانِي عَذْلُهُ، وَالْعَبْدُ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَذْلِهِ، جَارٍ عَلَيْهِ فَضْلُهُ مَاضٍ فِيهِ حُكْمُهُ، عَذْلٌ فِيهِ قَضَاؤُهُ (4).

الفرق بين المصيبة والعقوبة

الفرق الأول: كل عقوبة بذنب وليس كل مصيبة بذنب فقد تكون المصيبة بذنب فتصبح عقوبة وقد لا تكون ، وبالتالي العقوبة يُشترط لها أن تكون جزاءً على ما مضى أي بذنب ماضي بخلاف المصيبة فلا يُشترط لها ذلك.

(1) سورة طه، من الآية: 97.

(2) سورة الحديد، من الآية: 22.

(3) سورة النساء، الآية: 79.

(4) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ/1994م، ج3، ص214.

الفرق الثاني: العقوبة خاصة بالمكلفين أما المصيبة فقد يُصاب غير المكلف كالأطفال والبهائم ونحو ذلك.

الفرق الثالث: المصائب تختلف عن العقوبات من حيث الدفع والرفع؛ فالمصيبة إذا لم تكن عقوبة تحتاج إلى الاستعانة بالله ودفعها بالسنن الطبيعية، والصبر والتقوى، والرضا وما إلى ذلك من أمور، أما العقوبة فتحتاج بالإضافة إلى ما سبق إلى التوبة والاستغفار والاستقامة.

الفرق الرابع: المصيبة لا تكون إلا ضراء وأما العقوبة فهي لا تقتصر على العقوبات الظاهرة الحسية المادية والتي تكون في قالب ضراء⁽¹⁾
المطلب الثاني_ المحن والمصائب للفتن وأنواعها

الفتنة هي: كل ما يجعل الإنسان في الضيق والقلق، وعدم الاطمئنان من الابتلاء وعذاب والاضطراب، ولبلة الأفكار⁽²⁾ لقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾⁽³⁾.

والمحن والمصائب أنواع كثيرة، منها:

النوع الأول: فتنة الرجل في أهله وماله وولده

(1) فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة، البدراني أبوفصل، ص 34-35 .

(2) ينظر: المعجم الوسيط، 2/673.

(3) سورة البقرة، من الآية: 191.

النوع الثاني: الفتن التي تموج كموج البحر، كما جاء في الحديث: عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَاسْكُتِ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصِّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثَنِي، «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مَغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ»، قَالَ عُمَرُ: أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَوَ أَلَا أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلْتُ: «لَا بَلْ يُكْسَرُ»، وَحَدَّثَنِي «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعْلِيَّطِ» قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌ؟ قَالَ: «شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَحِّيًا؟ قَالَ: «مَنْكُوسًا»⁽¹⁾.

النوع الثالث: فتنه القتل، لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخُنُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَكَانَتْ نَفْسًا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإسلام بدأ غريباً وسيعود، رقم: 144،

138/1)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

فَنَجِّنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّانَكَ فُتُونًا ۖ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿١﴾.

النوع الرابع: فتنة التفرق والاختلاف والتحزب، وهذه أعظم البلايا، وهي التي وقعت فيها أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

النوع الخامس: فتنة الاعتصامات والمشاكل وما ينتج عنا من مفساد عظيمة. ونحوه.

المطلب الثالث_ المحن والمصائب للالتزامات وأنواعها

الالتزامات هي: الديون التي تدين بها الإنسان، ويمكن تحديدها من خلال المعاملات التجارية، مثل: بيع الأصول أو الخدمات أو تبادل السلع أو أي معاملة أخرى. والمحن والمصائب للالتزامات انواع كثيرة، منها:

1_ الالتزام المدني والالتزام الطبيعي: الالتزام المدني يكون فيه عنصري المديونية والمسؤولية، واما الالتزام الطبيعي يفتقد عنصر المسؤولية.

2_الالتزام السلبي والإيجابي: الالتزام السلبي يمتنع الملتزم عن القيام بعمل، أما الإيجابي يلتزم الشخص القيام بعمل.

والضرر الذي يترتب على هذه الالتزامات قسمان هما:

1_ الضرر المادي: ما يصيب المضرور في حق من حقوقه التي يحميها القانون، سواء في جسمه أو ماله على أن يصيبه في مصلحة مادية مشروعة.

2_ الضرر المعنوي: فهو الذي يمس الضرر في مشاريعه أو عواطفه أو شرفه أو عقيدته.⁽¹⁾

المبحث الثاني_ الحكمة من المحن والمصائب وأسبابها ونهايتها وأقوال العلماء فيها.

المطلب الأول_ الحكمة من المحن والمصائب

من حقيقة الإيمان أننا نعتقد أن رب العالمين حكيم في جميع أفعاله، لا يفعل شيئاً إلاّ لحكمة ما، سواء نعلم ذلك أم لا نعلم، فنزول البلاء لا يأتي عبثاً وإنما لحكم عظيمة، وضّحها في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿لَمْ أَحْصِ النَّاسُ أَنْ يُزَكُّوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾⁽²⁾.

ولهذه الحكمة أكثر الله تعالى في كتابه من ذكر قصة إبليس مع آدم لتكون نصب أعيننا دائماً.

(1) تحرير الكلام في مسائل الالتزام لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، تحقيق: عبد السلام محمد الشريف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1404 هـ - 1984 م، 74/1.

(2) سورة العنكبوت، من الآيات: 1، 2، 3.

والدرجات الرفيعة والمنازل العالية والنهايات الفاضلة لا تتال إلا بمشقة، قال العلامة ابن القيم رحمه الله⁽¹⁾ : الله سبحانه من الحكم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى الغايات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله⁽²⁾ : قال العلماء: "كان في قصة أحد، وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد أشياء عظيمة، منها: أن الله هباً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم الابتلاء والمحن ليصلوا إليه".

ويقول أيضاً " وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ يُصَابُونَ بِبَعْضِ الْعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنَ الْجَرَاحَاتِ وَالْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ لِيَعْظُمَ لَهُمْ بِذَلِكَ الْأَجْرُ وَتَزْدَادَ دَرَجَاتُهُمْ رِفْعَةً وَلِيَتَأَسَّى بِهِمْ أَتْبَاعُهُمْ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْعَاقِبَةِ لِلْمُتَّقِينَ"⁽³⁾.

ومن إتمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه، ومنعه من كثير من أعراضه وشهواته من رحمته به؛ ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: من تدبر حكمته سبحانه، ولطفه وبرّه بعباده وأحبابه، في كسره لهم، ثم جبره بعد الانكسار، كما يكسر العبد بالذنوب، ويذله به، ثم يجبره بتوبته عليه ومغفرته له، وكما يكسره بأنواع المصائب والمحن، ثم يجبره بالعافية والنعمة؛ انفتح له باب عظيم من أبواب معرفته ومحبته، وعلم أنه

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، ج1، ص301.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، ج7، ص347.

(3) المصدر نفسه ج7، ص347.

أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأن ذلك الكسر هو نفس رحمته به وبره ولطفه، وهو أعلم بمصلحة عبده منه، ولكن العبد لضعف بصيرته ومعرفته بأسماء ربه وصفاته لا يكاد يشعر بذلك، ولا ينال رضا المحبوب وقربه، والابتهاج والفرح بالدنو منه، والزلفى لديه إلا على جسر من الذل والمسكنة، وعلى هذا قام أمرُ المحبة، فلا سبيل إلى الوصول إلى المحبوب إلا بذلك.⁽¹⁾

وفي إنزال المحن والمصائب تتنوع بحسب الأحوال، منها:

1_ رفع درجات المؤمنين الصادقين، فمن ذلك ابتلاء الله عباده المؤمنين الصادقين بالجهاد في سبيله، وفيه عديد من الأذى والبلاء، والأذى في الأموال ينقصها وفقدانها والأنفس بالجراحات والقتل.

2_ تمحيص المؤمنين وتبيين الصادق من الكاذب، فالإيمان ليس كلمةً تقال وإنما هو حقيقة ذات التكاليف وأمانة ذات الأحياء وجهاد يحتاج إلى صدق الكلمة والعمل والنية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَافِقَةً مِّنْكُمْ طَافِقَةً قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۚ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۚ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ

(1) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، مصدر سبق ذكره، ج 1، ص 24.

الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَكُونُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُسْقَىٰ بِهِ الْبَرَاءُ وَيَكْفَىٰ عَنْكَ الْإِثْمُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (2).

3_ تكفير لخطايا المؤمنين ليعرف العبد المؤمن أنه ما من بلاء إلا بذنب، وحكمة نزولها تكفير الخطايا. لقول النبي _ صلى الله عليه وسلم _ : «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ». (3).

4_ عقوبة الكافرين والمنافقين ببعض ذنوبهم في الدنيا.

المطلب الثاني - أسباب المحن والمصائب وأقوال العلماء فيها

إن أسباب ظهور المحن والمصائب كثيرة، لقد أشار إليها العلماء، وهي:

(1) سورة آل عمران، الآية: 154.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: باب: المؤمن أمره كله خير، رقم الحديث: 2999، (2295/4).

(3) أخرجه الإمام أحمد في سننه، باب: المجلد الرابع، رقم: 8974، (28/4)، تحقيق: مكتب البحوث بجمعية المكنز الإسلامي، المشرف: الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي - دار المنهاج، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

1_ عدم الالتزام بمفاهيم وقيم وقواعد الدين، يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا ۖ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (1).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أَيُّ فَلْيَحْذَرِ وَلْيَخْشَ مَنْ خَالَفَ شريعة الرسول باطنا وظاهرا. أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَيْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ بِدْعَةٍ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَيْ فِي الدُّنْيَا بِقَتْلِ أَوْ حَدٍّ أَوْ حَبْسٍ أَوْ نَحْوِ». (2).

2_ الجهل بالدين، قال النبي _ صلى الله عليه وسلم _ : «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا، يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ» وَالْهَرْجُ: الْقَتْلُ (3).

3- البدع في الدين والفجور في الدنيا، قال الإمام ابن تيمية: "ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها، ومن تبعهم من العامة من الفتن: هذا أصلها، يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي: التي هي الأهواء الدينية والشهوانية، وهي البدع في الدين والفجور في الدنيا، وذلك أن أسباب الضلال والغي البدع في الدين، والفجور

(1) سورة النور من الآية: 63).

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ، 82/6).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: باب: ظهور الفتن، رقم: 8064، 48/9، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.

في الدنيا، وهي مشتركة: تعم بني آدم، لما فيهم من الظلم والجهل، فيذنب بعض الناس يظلم نفسه وغيره، كالزنى بلواط وغيره⁽¹⁾.

4- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي عدم الالتزام بضوابطه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾، قال الإمام الطبري: "ذاك إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"⁽²⁾.

المطلب الثالث_ نهاية المحن والمصائب

فمن نزلت به مصيبة فعليه بالصبر، فهذا ما يفعله العقلاء، فالعاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام، فأمر الله نافذ، فالثبات وقت المحن من دلائل الرضا بقضاء الله وهو من الخير الذي أشار إليه النبي في حديثه: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)⁽³⁾

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "إن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبيًا، وزيادة لهم

(1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ، 30/1.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 497/19.

(3) المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت: 261هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، باب المؤمن أمره كله خير، ح 2999.

في الثواب»⁽¹⁾.

فالمحن والمصائب تجمع بين معاني أمور الحياة والكوارث، ولها صور وصفات عديدة، كالمرض، أو القلق، أو الحزن، أو عدم الاطمئنان، فالله ينزعها بأمر كثيرة، منها:

- 1_ الاتجاه إلى الله في الدعاء للتخلص من المصائب والضيق.
- 2_ التوبة من المعصية والذنوب.
- 3_ الثبات على الحق والرضا بقضاء الله وقدره.
- 4_ طاعة الله في السراء قبل المحن والمصائب.
- 5_ القيام بقراءة القرآن وصلاة الليل.
- 6_ التصديق لوجه الله تعالى⁽²⁾.

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه يمكن الوقوف على جملة من النتائج والتوصيات لعل من أهمها ما يلي:

أولاً: النتائج:

- 1_ أن المصائب والمحن التي تصيب العبد لا تخرج عن أربعة أقسام : إما أن تكون في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه، أو في أهله ومن يحب، والناس مشتركون في حصولها، وهي لا تنزل إلاّ بذوب العباد.

(1) فتح الباري، ابن حجر 483/6.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ، 310/5.

- 2_ للثبات والصبر وقت المحن آثار عظيمة على قلب المؤمن، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في الحديث: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله -عز وجل- إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.
- 3- الثبات وقت المحن من الأعمال التي تكشف حقيقة الإيمان في قلب المسلم.
- 4_ لا تقتصر المحن والمصائب في هذه الحياة على جيل دون جيل أو أمة دون أخرى، بل إنها سنة عامة لله في الأرض تشمل المؤمنين والكافرين.
- 5_ الذنوب من أسباب المصائب، ولكن ليس في نصوص الشرع ما يدل على أن المصائب لا تكون إلا بالذنوب.
- 6- أن المصائب من الله لعبده المؤمن كالدواء يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه.

ثانياً التوصيات:

- 1_ على العلماء تثبيت الناس وقت المحن، ويتمثل دورهم في نشر الطمأنينة وثبيتهم أمامها وتصبيرهم عليها.
 - 2- نوصي الدعاة لأن دور كبير ومهم في تثبيت الناس وقت المحن والأزمات، فعليهم أن يبينوا للناس عظمة الله عز وجل وقدرته وأن الخير والشر بيده وأنه من يتحكم بالأمر لحكمة يعلمها قد يجهلها الناس ولا يفتنوا إليها.
 - 3- الاهتمام بدراسة المحن والمصائب لما فيها من العبر والمواعظ الكثيرة.
 - 4_ التمسك بالدين، والاخلاق الفاضلة، وعدم ارتكاب المعاصي.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

قائمة المصادر والمراجع

- 1_ أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
- 2_ لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ.
- 3_ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
- 4- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 4_ التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.
- 5- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- 5_ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1 - 1419 هـ.

6- الجامع لأحكام القرآن، "تفسير القرطبي" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.

6- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 27 ط، 1415هـ / 1994م.

7- فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة، البدراني أبوفیصل.

8_ سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

8_ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ.

9_ صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.

10_ تحرير الكلام في مسائل الالتزام لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: 954هـ)، تح: عبد السلام محمد الشريف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1404 هـ - 1984 م.

11_ صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.